

مرتكزات النقد الحداثي عند الرابطة القلمية

The foundations of modernist criticism at alrrabitat alqalamia

د. كمال لعور .. كلية الآداب والفنون جامعة حسينية بن بوعلى الشلف . الجزائر

المرسل Laouer.kamel@yahoo.com الارسال: 2019/10/26 القبول 2019/11/18 النشر 10 مارس 2020

E . ISSN : 506-2602X ISSN : 2335 - 1969

صفحات البحث من : 246 إلى 258

الملخص :

The Penal Association* alrrabitat alqalamia * reached a large amount of artistic maturity and critical sense, which made it the pioneer of the initiative to revolutionize the old, Despite the existence of categories with which the Arab literature arena is shared, and the exchange of the romantic current, the Penal Association was characterized by amazing coordination among its members, Based on a specific philosophy, and uniqueness in the style of expression, which made it proved its revolution to the last breath, and initiates the practice of literary modernity consciously at times and fascinated at other times. Her impressionistic sense of criticism did not diminish her writers' insight into an Orientalist mystical dimension, especially at Gibran Khalil Gibran and Michael Naima.

Keywords : Penal Association, Criticism, Modernity, Romance

بلغت الرابطة القلمية مبلغا واسعا من النضج الفني، والحس النقدي، ما جعلها تتبوأ قيادة المبادرة بالثورة على القديم، وعلى الرغم من تواجد فئات وأطياف كثيرة تقتسم معها ساحة الأدب العربي، وتبادلها التيار الرومنسي إلا أن الرابطة القلمية تميزت بتناسق منقطع النظير بين أفرادها، بالارتكاز على فلسفة محددة، وبالتفرد في أسلوب التعبير ما جعلها تثبتت على ثورتها الى آخر أنفاسها، وتبادر بممارسة الحداثة الأدبية بوعي تارة وبانبهار تارة أخرى، ولم يقلل حسها الانطباعي في النقد من أن يكون لدى أدبائها رؤيا متعمقة ذات أبعاد صوفية استشرافية خاصة عند جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة.

الكلمات الدالة: الرابطة القلمية، نقد، حداثة،

الرومنسية

لقد كانت الرابطة القلمية مركز انطلاق الأدب المهجري الذي جاء ردة فعل عنيفة على الأدب المومياي، أدب الجناس والطباق والتقريظ والتأريخ، فأحدث ثورة في الأدب العربي حولته عن تزويق المحنطات الى العبّ من معين الحياة، فإذا هو فعلا فن من الفنون الجميلة يأخذ منها ويعطيها، وإذا هو يزخر بالفكر والصور والأحاسيس والأنغام، وإذا هو انساني النزعة يتعدى حدود الوجدانية الذاتية ليتصل من خلال الأنا الشفافة بالشعور البشري العام¹

1. انتعاش الرومانسية في ظل الرابطة القلمية:

هي جزء من مدرسة المهجر الكبيرة التي تضم الرابطة القلمية في شمال أمريكا والعصبة الأندلسية في جنوبها، انطلق نشاطها سنة 1921* وهو أصح التواريخ، ففي نيويورك تعارف المهاجرون السوريون مثل "أمين الغريب" و"تسيب عريضة" و"ميخائيل نعيمة" و"جبران خليل جبران" وعكفوا على إصدار الصحف والنشر بها كمثّل "المهاجر"، "الفنون"، في ظل هذا الدفء الأدبي قرر المثقفون المهاجرون تأسيس الرابطة القلمية، فكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والأدبية في المهجر بلغ صداها أصقاع العالم العربي، وجعلوا "جبران" عميدا لها².

تبلور نشاط الرابطة عند إصدار "ميخائيل نعيمة" لكتاب الغريال سنة 1923* واضعا بذلك الأسس الفنية والمقاييس الحقّة للناقد وناقما على الأدب القديم ما جعل الكتاب بمثابة دستور الرابطة أو المختزل لأهم نظراتها. ثم انتهى أمرها بموت "جبران" سنة 1931 وعودة نعيمة إلى لبنان.

لمعرفة نشأة الرابطة القلمية لابد من العودة إلى لبنان وبالضبط إلى منتصف القرن التاسع عشر أين كان يشهد هذا الأخير نهضة فكرية وثقافية انتعشت بتوافد الحملات التبشيرية، فأنشأ أصحابها في 1860 ما يقارب 33 مدرسة³. وتوجوا نشاطهم بتأسيس الكلية السورية الإنجيلية في بيروت سنة 1866 وهي حاليا الجامعة الأمريكية وأوكل أمر نشر الأدب وإذاعته إلى "ناصيف اليازجي" و"بطرس البستاني" لكنّه كان وسيلة لنشر الثقافة الدينية فقط.

واهتم بعضهم بتعليم المرأة في وقت مبكر سبق الحواضر العربية، فقد انطلق منذ سنة 1834 بلبنان عندما أسس "علي سميت" وزوجته مدرسة الإناث⁴ وكان لاهتمامهم المبكر بالمرأة أثرا في تطور الكثير من الأفكار التحررية، وانعكست في كتاباتهم مثلما فعل "الشدياق" في الساق على الساق و"سليم البستاني" الذي صاح في خطبة له سنة 1883: "إنّ التي تهزّ السرير ببسارها تهزّ الأرض بيمينها" وقد شعر اللبنانيون بالضغط السياسي والاقتصادي الناجم عن سياسة الإقطاع وتغلب النفوذ الإنجليزي والعثماني سعيا منه لنشر القلاقل بين السكان، وحتى الحركة الدينية المسيحية هزت نفوس بعض المثقفين المحدثين الذين تلقوا علومهم في المدارس الوطنية القديمة أو في المدارس الحديثة، فثاروا على بعض المواضع الدينية التي ارتبطت في أذهانهم بعبودية

الإقطاع والسياسة التركية، كما أن هذه الظروف جعلت لبنان بطبيعته "أقل تمسكا بالعادات والتقاليد التي كانت تضعف من قوة التمرد في سائر الأقطار العربية الأخرى"⁵ وهذا ما جعل الرومانسية ثورية بقدر ما تمكنت من كشف العلاقات الإقطاعية مسهمة في حركة تفكيكها، وفي آن واحد كانت "حركة إصلاحية بقدر ما كانت عاجزة عن رؤية حقيقة العلاقات الجديدة المتكونة كعلاقات نظام إنتاج رأس مال تبعي"⁶

وفي كتاب الشعر العربي في المهجر ما يثبت أن الرومانسية انطلقت في لبنان من لبنان ذاتها قبل أن تتبلور في مصر أو في العالم الجديد، "فنشأت فيما بعد طبقة من المثقفين الذين انهالوا بمعاولهم على تقاليد المجتمع البالية، وكانوا دعاة التحرر والتحرير في ذلك الوقت الذي استنامت فيه العقول لسلطان التقاليد البالية، وخضعت فيه النفوس للإرهاق، إلى جانب وجود ظروف ثقافية وفكرية سمحت بتطور الطابع الفردي في لبنان، والذي هو عماد الرومانسية الحديثة لكونها تقدس الفرد، ونشأت هذه الفردانية عن طريق دخول الأدباء إلى ترجمة القصص التي تحمل البعد الفردي الشخصي كقصة "روبنسون كروزو" التي ترجمها "بطرس البستاني" وقصة مغامرات تيليامك التي ترجمها "الطهطاوي" ونشرها في لبنان إلى جانب الترجمة العامة⁷ التي استهدفت قصص المغامرات المشبعة بالروح الرومانسية والتحررية، وكان لبروز الطبقة الوسطى في المجتمع اللبناني أثر في امتصاص حدة الإقطاع وشيوع الطابع الفردي الشخصي.

وفي المقابل كان التيار المحافظ التقليدي قائما بلبنان يحرصه "ناصر اليازجي" الذي بعث تراث اللغة في الشعر والنثر وقضى على كل محاولة للتجديد في اللفظ أو في المعنى إلى جانب "بطرس كرامة" وغيرهم. وقد ظهرت روح هذه الحركة الاتباعية الكلاسيكية قوية في المسرحيات والقصص الدينية التي أرادت صدّ تيار التجديد والعودة بالناس إلى التراث الديني بقصد مقاومة "الهرطقة" والقضاء على حركة الانفلات من عجلة الإقطاعية الدينية⁸.

يبدو أن التجديد في مصر بالمعنى الصحيح كان طارئا وفد عليها من لبنان وتمثل في محاولات النشر العديد والنزوح الكبير للمثقفين اللبنانيين إليها عن طريق محاولات "سليم النفاش"، و"أديب اسحق" و"نجيب حداد" في المسرح، و"آثار جورج زيدان" و"فرح أنطون" و"لبية هاشم" و"نقولا حداد" في القصة، وقصائد "نجيب حداد" ... و"خليل مطران"⁹ وقد تباطأت حركة التجديد في مصر وتدفقت في لبنان والسبب الجوهرى لذلك هو تمسك مصر ورجال الأزهر بالتراث العربي المرتبط بالحمية الدينية الإسلامية في حين خلا لبنان من هذا الشعور، وكان الأدب يستمدّ العون في مصر من السلطات والأمراء والولاة.

وصرنا بالتالي أمام شكلين من الرومانسية، فالمصرية اتخذت طابعا هروبيا في حين أنها في نتاج "جبران" بدأت سليمة تهجم على الإقطاع والكهنة والمرايين ثم ازدادت تطرفا مع "ميخائيل

نعيمه¹⁰. وعندما لم يجدوا البيئة متاحة أو حوربوا من قبل قوى الإقطاع المتضافرة مع النظام الفاسد¹¹ أو نظرا لضيق الحال هجروا نحو أمريكا أو نزحوا إلى مصر. والأكثر من ذلك أن من مميزات تيار التجديد عند الرابطة تدفقه بلا هوادة، واتساقه بين أفرادها واستمراره دون تراجع أو تنازل، في حين يشهد النقاد على تراجع التيار الرومنسي المصري عن بعض أفكاره التحررية لصالح الاتجاه المحافظ، فالرابطة "تختلف عنهم اختلافا جوهريا، فليس في مدرسة العقاد وشكري والمازني، ولا عند شعراء أبولو هذا التناسق بين أفرادها، ولا هذا الاحساس المشترك الذي يتركز الى فلسفة محددة، ويتجه نحو أسلوب في التعبير يكاد أن يكون منفردا وجديدا... وإذا تتبعنا هذا كله أدركنا الفرق الكبير بين مدرسة المهجر التي ثبتت على ثورتها، وحافظت الى حد كبير على سمات مدرسة محددة لا تخطئها العين، وبين شعراء الديوان وجماعة أبولو¹²

لقد أسهم الرومنسيون العرب في عمليات تغيير البنيات المرجعية في تصور الشعر وقراءته وممارسته من خلال إعادة النظر في العلاقة القديمة بين الشعر والنثر، والعمل تارة على التقريب والتجاور بينهما، وتارة أخرى إلى الدمج والاختراق، إن المراجعة والمساءلة هي السبيل إلى إحداث البدائل الضرورية في التصورات والمفاهيم الشعرية القديمة التي هيمنت عليها نظرية عمود الشعر، ومحاولة الانعتاق من قوالبها الجاهزة الصارمة¹³

لقد حمل المهاجرون اللبنانيون بذور الرومنسية إلى العالم الجديد بأمريكا فأخصب وأينع وأثمر، وتبلور جهد التيار وقوته مع الأديب "جبران خليل جبران" الذي كان يبدع بالعربية والإنجليزية ويصور بالقلم والريشة وينثر وينظم في آن واحد، فإذا كان "جبران" قد ارتبط بالرابطة القلمية في المهجر وأثر فيها فإن تأثيره لم يقتصر عليها، وإنما وصل إلى مصر وطبع بها سنة 1923 كتاب البدائع والطرائف، وقبلها العواصف واستمر "جبران" يتطور في إطار الرومنسية ويتعمقها حتى وفاته واستمرت الرومنسية بعده تتطور في المشرق عبر جماعة الديوان، وجماعة أبولو و اشتد ساعدها، فعمت الأقطار العربية بعد ذلك¹⁴.

وقد كان "جبران" شيخ هذه المدرسة، وهو يأتي على رأس المهجريين الذين اعتمدوا "الرؤيا في تعريف الممارسة شعرا ونثرا، وهو في الحقيقة تجاوز لتاريخ طويل من المحاكاة والتقليد"¹⁵، فكانت قصيدته المواكب الصرخة الأولى التي انطلقت تدعو إلى الخلاص بالعودة إلى الغاب، فمن الطبيعة وحدها تستمد روح الشاعر قوتها. وتراه في كتبه ومقالاته يحمل على المقلدين والمتشدين والرافضين للتجديد المحاربين له، ولعل قمة مقالاته المجسدة لهذه الثورية في الأدب والفكر مقاله الموجود بمجموعة العواصف تحت عنوان "المخدرات والمباضع"، فأما الكلمة الأولى فيقصد بها

الأدواء التي اجتاحت المجتمع العربي في الفكر والثقافة وأدمن عليها، وأما المباحض فهو ما يهرب منه العربي وما يحتاج إليه لإجراء عملية ضرورية لاستئصال العلل المحبطة.

فيتعجب من حالة الكتاب ووضعهم في المجتمع العربي "يطلب الشرقيون من الكاتب أن يكون كالنحلة التي تطوف مرفرة في الحقول جامعة حلاوة الأزهار لتصنع منها أقراصا من العسل... إن الشرقيين يحبون العسل ولا يستطيعون سواه مأكلا وقد أفرطوا بالتهامه حتى تحولت نفوسهم إلى عسل تسيل أمام النار ولا تتجمد إذا وضعت على الثلج¹⁶. وهو يشجب على المجتمع عدم فتح مجال النقد أمام الكاتب فلا يرهفون سمعا إلا للمديح والتعظيم لمآثر الحاضر والماضي. ولا تختلف حالة الشاعر عن حالة الناثر، فالشرقيون يطلبون منه أيضا "أن يحرق نفسه بخورا أمام سلاطينهم وحكامهم وبطاركتهم... ففي أيامنا هذه مذاحون يضارعون المتنبي وارثون يضاهون الخنساء، ومهنتون أكثر طلاوة من صفي الدين الحلي"¹⁷. لذلك يرى "جبران" أن الشعراء في البيئة العربية غرباء عن أوطانهم في تفكيرهم وآمالهم، ولا يتجاوبون مع بيئتهم، ففي مقال الشاعر يقول: "أنا غريب وقد جبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسي، ولا لاقيت من يعرفني ولا من يسمع بي أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة وأنثر ما تنظمه"¹⁸.

وفي تضاعيف كتاباته الابداعية الانتقادية نراه يلح على الشاعر أن يستعيد دوره الريادي، وأن يتخلص الأدب من عار التقليد والمحاكاة الجاثم على الخطاب الشعري والنثري على حد سواء، فكان لا يتوانى من التردد "إن الأدب العربي لن يواكب الحياة إلا إذا تحرر من القديم، فشاعرنا ينظم ولكن بأفكار من تقدموه، وكاتبنا يستعيد تشابيه ابن البادية، وإذا نظم الشاعر ف شعر مناسبات، وإذا كتب الكاتب، فمن أشياء لا تحسها روحه، ولا يرواها خياله، إن في المواليا والزجل والعتاب والمعنى من الكنايات المستجدة والاستعارات اللطيفة والتعابير الرشيقة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد الطنانة التي تملأ مجلاتنا والمقالات الرنانة التي تغزو صحفنا، لبانت كباقة من الرياحين قرب رابية من الحطب أو كسرب من الصبايا الراقصات المترنمات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة"

فهو حقيقة يشعر أن دور الشاعر هو مخالفة الموجود وخلق الجديد، ينظم مالم تستطع الحياة نظمه من قبل بالخروج عن الطوق المنظوم ونثره بطريقة جديدة مستحدثة. ولا يكتفي "جبران" بنقد طائفة الأدباء والشعراء بل ينتقل إلى فئة العلماء اللغويين والمفكرين، فيرى أن الشرقيين ويقصد بهم العرب عامة يطلبون من العالم "أن يبحث في تاريخ آبائهم وجودهم متعمقا بدرس آثارهم وعوائدهم وتقاليدهم صارفا أيامه ولياليه بين مطولات لغاتهم واشتقاقات ألفاظهم، ومباني معانيهم وبيانهم وبديعهم"¹⁹. ثم يتوجه إليهم صارخا مشفقا "قلهؤلاء الأدباء المفكرين أقول أنا أندب الشرق لأن الرقص أمام نعش الميت جنون مطبق"²⁰.

وعندما نقرأ لجبران نصوصه الانتقادية للمجتمع والأفراد، أو حتى نصوصه الابداعية الخالصة نلتهمس غلبة الانفعالية على العقلانية، أي غلبة النزعة الخيالية الذاتية على النزعة العقلية الموضوعية، "حتى لكأن الارتعاشة العاطفية المنفعلة تسيطر على العمق الفكري المدقق، وهذا ما قاده الى اعتماد الصورة أكثر من اعتماده الفكرة"، حتى لقد صح فيه القول بأنه يفكر شعوريا ويعقل خياليا، ولا يشعر فكريا أو يتخيل عقليا، ثم إن هذا أيضا ما جعله يقع في ألوان من الغيبيات المستوحاة مما نسميه الحدس، أو الحاسة السادسة، وهي لا ريب حاسة تمدد بتلاوين لا يمدده بها العقل المدرك المنظم"²¹

وتستند الرؤية النقدية عند جبران على اللغة الذاتية، وهي خطوة جريئة واصل بها جبران غزوه الكاسح للكون الكتابي والثقافي والمجتمعي كما يتضح من عبارته الشهيرة لكم "لغتكم ولي لغتي" وفق هندسة تعارضية تتبنى على الصراع، وبهذه النبرة الواثقة والرزينة ترتفع قيم الذاتية لتحل محل القيم الجماعية، "وبما أن الصراع مع أنصار المحافظة والتقليد كان على أشده آنذاك، فإن المقابلة بين اللغة القديمة القائمة على أساس المحاكاة واللغة الجديدة القائمة على أساس الخلق والإبداع هي في الأصل مقابلة بين السكون والحركة، وبين الجمود والتطور، وهذا الفهم الجديد يقوم على أساس قاعدة لسانية مركزية تتمثل في التمييز بين اللغة والكلام، فإذا كانت اللغة مقولات وقواعد ضمنية مضمرة مشتركة بين أفراد الأسرة اللغوية الواحدة، فإن الكلام هو التحقق الفعلي لهذه المقولات والقواعد في انجازات فردية خاصة مشروطة بالسياق والمقام، إن الأدب بهذا المعنى مجال لتفعيل اللغة وترهينها من خلال تفجير مكنوناتها"²²

وعليه يمكن اعتبار أعمال "جبران" الفنية تجسيدا فعلي للتيار الرومنسي، ولتعاليم الرابطة القلمية الن قدية أو أنه الروح الإبداعية التي نفخت في الرابطة القلمية المقاييس الأدبية الجديدة بالثورة على القديم، والخطاب التحديثي الرومنسي عموما يعتبر خطابا تأسيسيا خلخل التصورات والمفاهيم التقليدية، من خلال إعادة النظر في الثنائية شعر - نثر على المستوى الابداعي والتطيري، وبوضع الانشغالات النظرية فوق تصور حضاري إنساني عام، يتجاوز التوقع حول الذات أو التماهي المطلق مع الآخر، وهذان الشرطان هما أس الحوار الثقافي والحضاري المثمرين"²³

2- معالم النقد في الرابطة القلمية:

توجّ اهتمام "ميخائيل نعيمة"* بالنقد وحرصه عليه واحتكاكه برواد الرابطة القلمية بإصدار كتاب في المهجر ذو طابع نقدي يوازي كتاب الديوانين جعل عنوانه الغريال في سنة 1923، وهو

وقت مبكر جعله مبشرا بالأدب الجديد، والعجيب في أمر الغريال أيضا أنه قدم له "عباس محمود العقاد" معجبا به ومعتبرا إياه إضافة لجهد المدرسة الرومنسية الجديدة في الشعر والأدب. وقد سبق لميخائيل أن طرق باب الشعر الجديد، فخط على الورق قصائدا من وحي الشعور الذاتي العميق مسترسلا وراء الخطرات النفسية غير مسحور برنين اللفظة وروعة التشبيه، غير مأخوذ إلا بصورة الإحساس ودقته وقدرته على الانطلاق²⁴.

ومن مميزات "نعيمة" أنه اندفع بقلمه إلى تسطير الشعر بعد أن خاض تجربة النقد وهو أمر جريء لأن بعض الشعراء الذين يفقدون القدرة على تحقيق آرائهم التجديدية ينقلبون إلى النقد عجزا. وكان في شعره لا يتملق لكنه انصرف بعد ذلك إلى حقل النثر لاتساعه لنزعتة الاستغراقية التأملية التي لا يتحملها الشعر بما طبع عليه من تركيز ولمح وإيحاء²⁵ من شعره:

تحتجب بالغيوم

إذا سماؤك يوما

خلف الغيوم نجوم

أغمض عينيك تبصر

وقد أعجب "العقاد" الديواني بإصدار "نعيمة" الغريالي ونوّه به معتبرا إياه صفاء في الذهن واستقامة في النقد وغيره على الإصلاح، وفهما لوظيفة الأدب وقبسا من الفلسفة ولذغة من التهكم²⁶ ويعلق على الكتاب قائلا: "رأيت قلما جاهدا في طلب الشعر الصحيح، شعر الحياة لا شعر الزخافات والعلل، رأيته ينعى على الشعر الرث الذي تركنا بلا شعر، ولم يبق في حياتنا ما ليس منظوما سوى عواطفنا وأفكارنا"²⁷.

فكان إعجاب "العقاد" بالغريال من باب حرصه على إشاعة الشعر الجديد وإلغاء التبعية للشعر المنظوم الذي أزهد العواطف والأفكار ويضيف قائلا: "ورأيت أنه يريد من الشاعر أن يكون نبيا وينكر أن يكون بهلوانا ويريد من الشعر أن يكون وحيا وإلهاما وينكر أن يكون ضربا من الحلج* والجمز* والمشي على الأسلاك والانتصاب على الرأس ورفع الأثقال بالأسنان ولفّ الرجلين حول العنق إلى ما هنالك من الحركات التي تجيدها القردة أيما إجادة".

وقد حمل ميخائيل نعيمة في الغريال حملة شعواء على أغراض شعرنا التقليدية من مديح وغير مديح، كما يحمل على قيوده اللغوية أو ما يسمى بالجوالة اللفظية، ويتحدث عن المقاييس الصحيحة للشر في رأيه، ويردها إلى حاجات الانسان النفسية الثابتة، وهي حاجته إلى الإفصاح عن ما ينتابه من العوامل الوجدانية من رجاء ويأس وفوز وفشل وإيمان وشك وحب وكره ولذة وألم وحزن وفرح وخوف وطمأنينة، وكل وما يتصل بذلك من انفعالات وتأثيرات²⁸

أ-الدعوة إلى أدب العواطف والمشاعر:

يكشف "نعيمة" في طيات كتابه الغريال أن همّ الرابطة القلمية منصب على إعادة روح الشعر إلى الشعر بعيداً عن الألغاز اللغوية والרטانة اللفظية والمتون العجائبية، "فإن لم يكن لها إلا

تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثواباً، فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية، وأن لنا أن نتعطف ولو بالتفاتة على ذلك الحيوان المستحدث الذي كان ولا يزال سرّ الأسرار ولغز الألغاز لعلنا نجد فيه ما هو أخرى بالنظر والدرس من رأس السمكة في قولهم -أكلت السمكة حتى رأسها²⁹- وفي ذلك إشارة تهكمية إلى النحو الغارق في المسائل العميقة وجعل الجملة الواحدة مثلاً محل رفع ونصب وجرّ كحال المثال السابق.

ب- نبذ التقليد والجمود في الإبداع نثراً وشعراً:

يتهمك الغربال من الكتاب والشعراء الذين يغمسون أقلامهم ليستنبطوا ألفاظ القواميس المحيطة، ويقلدون مدح "المتنبي" وهجاء "جرير" وغزل "المجنون" ووصف "ضرار" للحمير، ويدعوهم إلى الترفع والانفتاح على عوالم أخرى بلغة جديدة وفكر عميق "كلّ بل عندكم حباب! عندكم ألوف من سُرُج الليل لو اجتمعت كلّها لما أشعلت قشّة يابسة، عندكم أحمال من القصب مبرية تُغمس في المحابر لتسودّ أحمالاً من الورق"³⁰.

وعندما يقارن بين شعرنا والشعر الغربي يجد الحرية مكفولة هناك معدومة عندنا، والشاعر العربي غارق في عروضه والغربي هائم مع الطبيعة تائه في جلالها، فيصيح فيهم قائلاً: "فتشوا عن مولير ليضحكننا ويبكينا، ويجعلنا نخجل من ذواتنا في وقت واحد، إنما اذكروا أنّ مولير لا يولد من درس المعاجم والعروض والقوافي وجوائزها من خبن وخبل وطي ووقص، مولير لا تحصره أبحر بين طولها ووافرها ورجزها ورملمها، لا تقف في وجهه خرافات وترهات وشرائع وأوهام بل هو نبع جارف يتدفق من صدر الطبيعة"³¹.

ج- الدعوة إلى النقد الموضوعي في الأدب:

يرى "نعيمة" في غرباله أن النقد موضوعه أدب الأديب لا الأديب نفسه، وأنّه متى نشر إبداعه صار موضوعاً للنقد، فيحك الناقد فكره بمحك فكره ويستجهر عاطفته بمجهر عاطفته، ويرى حاجة الأدب الماسة إلى النقد "لأنّ أذواق السواد الأعظم منا مشوّهة بخرافات رضعناها من ثدي أمسنا وترهات اقتبلناها من كفّ يومنا، فالناقد الذي يقدر أن ينتشلنا من خرافات أمسنا وترهات يومنا، والذي يضع لنا اليوم محجة لندركها في الغد هو الرائد الذي سنتبعه والحادي الذي سنسير على حدوه"³².

وقد تصدرت عبارة "من غربل الناس نخلوه" بداية الكتاب للدلالة على مجازفة الناقد لخوضه غمار العملية النقدية غير أن ذلك لا يجب أن يكون مانعاً لدخوله معتركه بل محفزاً، ليؤكد أيضاً أن "الغريلة سنة من السنن التي تقوم بها الطبيعة والطبيعة أكبر مغرل".
الثورة على المفاهيم القديمة للشعر:

اتخذ الغربال موقفا وسطا من الشعر وبعد أن يستظهر تعريفات مختلفة يراها تدور حول نقطتين جوهرتين قسم ينظر إلى الشعر من جهة تركيبية وتنسب عباراته وقوافيه وأوزانه، والآخر يرى في الشعر قوة حيوية، والشعر في الحقيقة ليس الأول وحده ولا الثاني فقط بل هو كلاهما³³. ويفرق "نعيمة" بين الشاعر والشعور الذي اقتحم أغوار الشعر دون أن يفقه حقيقته، ففي نظره "الشاعر لا يصف إلا ما يدركه بحواسه الجسدية أو يلامسه بروحه، لسانه يتكلم من فضلة قلبه أما الشعور فيحاول أن يقنعنا أنه حلم أحلاما نحن نعلم علم اليقين أنها لم تمر له برأس لا في النوم ولا في اليقظة، ويصف لنا عواطف لم يشعر بمثلها لا بشر ولا جن ولا ملاك، من أول وجود هذا العالم حتى اليوم"³⁴ ويظم الشعور في صنفه طائفة النظامين الذين حمل عليهم الغربال حملة شرسة قائلا لهم متعجبا "بينهم من لو درس حرفة الخياطة لبرع فيها، وبينهم من لا يجاريه أحد في مسح الأحذية... لكنهم لا يدركون ذلك وهذه مصيبتنا الكبرى فيهم"³⁵.

ونرى نظرة الغربال إلى غاية الشعر تتحو منحى وسطيا، فهي لا تؤخذ بفكرة الفن للفن التي تسلك الشعر من قيمته الفكرية، ولا تجعله غاية خادمة للحاجات الإنسانية فقط بل بين بين.

الخلاصة:

كان أعضاء الرابطة القلمية يتشابهون في المنشأ والمنزعة ويتفاوتون في الموهبة والإنتاج واتسم إنتاجهم النقدي والابداعي بخصائص عدة لعل أهمها:

الثنائية:

النص الرومنسي يغلب عليه الطابع الشعري الذي يعتمد فيه على الإيقاع، إما بالتجانس بين الجمل أو التقابل في إطار الثنائية والتكرار، وهو ما نراه في بعض نصوص "نعيمة" النقدية والعديد من النصوص النثرية "لجبران".

الثورة والتمرد:

معظم أدباء الرابطة مارسوا بشغف مهمة النقد، فقد قيل في "جبران" مسيح يصلح، ونيتشه يهدم، ويصرح "نعيمة" بهذه الحقيقة "كانت الفكرة التي تسيطر علينا هي التخلص من الجمود الأدبي الذي سيطر على العقلية العربية خلال خمسمائة سنة ثم الابتعاد بالأدب الحديث عن التأثير بالأدب القديم، وخلق صلة بين الأدب والحياة، حياة حديثة تتطلب أدبا حديثا حياة لا علاقة لها بالناقة والأطلال وعنق الغزال والهندواني*، وقد ساهم أعضاء الرابطة جميعا في هذا الاتجاه القدماء، غنوا حياتهم (كثير الله خيرهم) لا نلومهم ولا ندينهم، ولكننا إذا غنينا حياتهم خدعنا أنفسنا"³⁶. وقد وجد المستشرق الإنجليزي "جب" وكذا الناقد المصري "هيكل" أنهم لجأوا إلى الهجرة من أجل صنع أدب مقطوع الصلة بالتراث الإسلامي موصولا بالتراث المسيحي³⁷ وهو ما نفاه "نعيمة بشدة".

النزعة الصوفية:

أكد "نعيمة" تأثرهم بالبعد الصوفي الإشرافي الانجليزي والإسلامي، ويؤكد "نعيمة" هذه الحقيقة مشيدا بدوره ودور "جبران" في إقامة صرح الرابطة القلمية فصرح "ضمن الرابطة القلمية شخصان يتجانس تفكيرهما في المنظور وغير المنظور "جبران ونعيمة" أما بقية أعضاء الرابطة فتأثروا بهما في هذا الاتجاه، كان "جبران" متصوفا في تفكيره يعود فيه إلى العالم الباطن، وأنا منذ بدأت أكتب أعيش في عالمين ظاهر وباطن"³⁸ ويعتبر الغربال نموذجا لذلك لأن الحياة فيه وحدة لا تتجزأ، ويرى التيار الصوفي قد جرف معظم المنتسبين إلى الرابطة حتى "نسيب عريضة وحتى الشاعر "إيليا أبي ماضي" الذي كان ميالاً للمادية.

وهذه الرؤية الصوفية لدى جبران صنفته رائدا للحدائث في الخطاب العربي الحديث³⁹، فريادة جبران الحدائثية تظهر بصورة جليلة في محاولته الانفصال عن عصر النهضة الذي لم ينتج شعرا بالمعنى الدقيق للكلمة نظرا لافتقاد التجارب الكتابية لعنصري الجدة والأصالة بمعنى الفردة والابداعية،

الانطباعية:

كان النقد الرومنسي نقدا انطباعيا لا يجد في العادة حرجا من الجهر بتأثيره والكشف عن ذاتيته، فصاحبه يعلن "صراحة عن أنه ما من يقين نقدي ممكن، وأنه ليس من سبيل ثم لإقامة أحكام نقدية على أساس موضوعي"⁴⁰ وقد ترسمت سمات النقد الانطباعي عند الرابطة القلمية من حيث رفض القواعد والاعتماد على الذوق الشخصي والكشف عن الاحساس بلغة التأثير، ووصف ردود فعل القارئ من العمل الأدبي إعجابا أو نفورا والحكم عليه حكما مطلقا مبهما دون التماس علل أو مسوغات.

مسايرة المنهج الغربي:

لقد ساهم الأدباء الشوام من سوريا ولبنان في إغراء الأدباء للسير وراء المنهج الأوروبي في الأدب والحياة، لما كان يربط هؤلاء بأوروبا من روابط تاريخية ودينية خاصة عندما استقر بعضهم في مصر وهياً لهم الاحتلال الانجليزي المنابر الصحفية والثقافية، بالإضافة الى نشاطاتهم في المهاجر الأوروبية والأمريكية والتي كان أثرها يصل الى الشرق من خلال الصحف والمجلات⁴¹ وكانت الرابطة القلمية من أوائل المدارس العربية هضما للمنهج الغربي في الأدب، وأحرص على اعتماده في تذوق النصوص الأدبية.

The foundations of modernist criticism at alrrabitat alqalamia

Summary :

The Penal Association *alrrabitat alqalamia* reached a large amount of artistic maturity and critical sense, which made it the pioneer of the initiative to revolutionize the old, Despite the existence of categories with which the Arab literature arena is shared, and the exchange of the romantic current, the Penal Association was characterized by amazing coordination among its members, Based on a specific philosophy, and uniqueness in the style of expression, which made it proved its revolution to the last breath, and initiates the practice of literary modernity consciously at times and fascinated at other times. Her impressionistic sense of criticism did not diminish her writers' insight into an Orientalist mystical dimension, especially at Gibran Khalil Gibran and Michael Naima.

The members of the Penal Association were similar in origin and varied in talent and production, and their critical and creative production had many characteristics.

poetic character in which it relies on rhythm, either by the harmonization of sentences or by correspondence in the framework of dualism and repetition, as seen in some of Naima's critical texts and many prose texts of Gibran.

Romantic criticism was an impressionist critique. The author explicitly declared that there was no critical certainty possible, and that there was no way to establish critical judgments on an objective basis. The reader did the literary work and sentenced him to absolute judgment without seeking illness. The writers from Syria and Lebanon contributed to the temptation of the writers to go beyond the European approach to literature and life, because they were linked to Europe of historical and religious ties, especially when some settled in Egypt.

The Penal Association was one of the first Arab schools to digest the Western curriculum in literature, and was keen to adopt it in the taste of literary texts. The British occupation provided them with press and cultural platforms, in addition to their activities in the European and American immigrants, whose impact was reaching the East through newspapers and magazines.

الهوامش والإحالات

- ¹ جميل جبر، جبران خليل جبران في حياته العاصفة، مؤسسة نوفل لبنان، ط1، 1981، ص198
- * صدر الغريال في هذه السنة على عكس ما قاله الجري أنه صدر سنة 1929 لأن الطبعة الأولى للكتاب كانت سنة 1923.
- ² جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، موفم للنشر، الجزائر 1993، ينظر مقدمة بيدي عثمان، ص 04.
- * تضاربت الآراء حول تاريخ نشأتها فمنهم من يرى أنها وليدة سنة 1920 كما صرح الجري في كتاب الأدب المقارن ص، ومنهم من جعلها في سنة 1922 كما في مقدمة كتاب الأرواح المتمردة تقدم بيدي عثمان ص، أما كتاب الشعر في المهجر فيجعلها في سنة 1921 وهو الأصح لأن الغريال قد ذكر السنة نفسها، ينظر الغريال ص.
- ³ إحسان عبد القدوس، محمد يوسف، الشعر العربي في المهجر، بيروت، ص 10.
- ⁴ المرجع نفسه، ص11
- ⁵ محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق القاهرة ط1، 1994، ص112
- ⁶ يمنى العيد، الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان، دار الفارابي بيروت 1979، ص44.
- ⁷ الشعر العربي في المهجر، ص29.
- ⁸ المرجع نفسه، ص32.
- ⁹ المرجع نفسه، ص33.
- ¹⁰ محمد رمضان الجري، الأدب المقارن، دار الهدى الجزائر، 2002، ص139.
- ¹¹ الشعر العربي في المهجر، ص 12.
- ¹² محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص114
- ¹³ عبد القادر الغزالي، الشعرية العربية، التاريخية والرهانات، دار الحوار سورية ط1 2010، ص:194.
- ¹⁴ جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، ص 02.
- ¹⁵ عبد القادر الغزالي، الشعرية العربية، التاريخية والرهانات، ص 197.
- ¹⁶ جبران خليل جبران، العواصف، موفم للنشر الجزائر 1993، ص 178.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 179.
- ¹⁸ العواصف، مقال الشاعر، ص 300.
- ¹⁹ العواصف، مقال المخدرات والمباضع، ص 179.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 183.
- ²¹ فوزي عطوي، جبران خليل جبران، عيقرى من لبنان، دار الفكر العربي، لبنان ط1، 1989، ص73
- ²² عبد القادر الغزالي، الشعرية العربية، التاريخية والرهانات، ص 214
- ²³ عبد القادر الغزالي، الشعرية العربية، التاريخية والرهانات، ص 196
- * ولد في سنة 1889 في بسكنا بلبنان انضم إلى الرابطة العلمية كتب الشعر وسرعان ما انتقل إلى النثر.
- ²⁴ الشعر العربي في المهجر، ص 178.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص 192.
- ²⁶ ميخائيل نعيمة، الغريال، ط15، نوفل، لبنان، 1991، مقدمة الطبعة، ص 05.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 07.
- * الحلج: الحركة البهلوانية
- * الجمز: الجمباز
- ²⁸ شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط11، 2011، ص217.
- ²⁹ الغريال، ص 28.
- ³⁰ الغريال، ص 54.
- ³¹ الغريال، ص 63-64.

- 32 الغريال، ص 17.
- 33 الغريال، موضوع الشعر والشاعر، ص 76.
- 34 المصدر نفسه، ص 83.
- 35 المصدر نفسه، ص 88.
- * الهندواني: سيف مصنوع من حديد، الهند المهند.
- 36 عبد الكريم الأشت: مسامرات نقدية، دار القلم العربي، 2002، ط1، ص 64.
- 37 المرجع نفسه، ص 64.
- 38 المرجع السابق، ص 57.
- 39 أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط4، 1983، ص 79.
- 40 ينظر صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياها ومناهجها، منشورات جامعة السابعة من أبريل ليبيا ط1، 1426 هـ ص 132
- 41 شلتاغ عيود، الأدب والصراع الحضاري دار المعرفة، دمشق 1995، ط1 ص 159